

قصة حول حياة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)

تساؤل..!!

كان وَلدِيَ حامدٌ يَنظُرُ إليَّ وأنا أقرأُ في كتابٍ يَتَحدَّثُ عن الإِمامِ جَعفرٍ بنِ مُحمّدٍ الصادقِ عليه السلام وفَجأةً !!

.أبي أُريدُ التحدُّثَ إليكَ..

هكذا قالَ لي وَلدي حامدٌ.. وَقَدْ شاهَدْتُهُ يَنْهَضُ مِنْ مَكانِهِ لِيجلِسَ بِجانِبي تَماماً.. فَقُلتُ لَهُ وأنا أبتَسِمُ فِي وَجهِهِ البَريءِ : . بِمَ تُريدُ أنْ تَتَحَدَّثَ يا حامدُ.. ؟



. لَقَدْ خَطَرَ في بالي سؤالٌ وأنا أتأمَّلُ اسمَ الِإمام جعفرٍ بنِ محمّدٍ الصادِقِ عليه السلام على غِلافِ الكِتابِ..

فَقلتُ لَهُ بَعدَ أنْ أغْلَقتُ الكتابَ وَوَضَعْتُهُ عَلى المِنْضَدةِ أمامِي :

. تَفضّلْ..

. لماذا سُمِّيَ مَذْهَبُنا بالمذْهَبِ الجَعفريِّ.. ؟

. نِسبةً إلى الِإمامِ جعفرٍ بنِ محمّدٍ الصادقِ عليه السلام .

. وَلماذا نُسِبَ مَذْهَبُنا إلى الِإمامِ جعفرٍ بنِ محمّدٍ الصادقِ عليه السلام دونَ غَيرِهِ مِنَ الائَمةِ عليهم السلام ؟

تَأمّلْتُ وَجْهَ وَلدي حامدٍ وَقَدْ غَمرتْنِي سعادةٌ عظيمةٌ حِينَ شاهَدْتُ عَليهِ كُلَّ هذا الاهتمامِ في مَعرِفَةِ هذِهِ الأُمورِ المُهمَّةِ.. فأجَبْتُهُ باحترامٍ وَمَودَّةٍ كَيْ أُشَجِّعَهُ على مُواصَلَةِ حَدِيثِهِ مَعي : . هذا لأنَّهُ فِي زَمنِ الِإمامِ الصادِقِ عليه السلام ظَهَرَتْ عِدّةُ مَذاهبٍ.. نُسِبَتْ إلى أسماءِ مُؤسِّسِيها وألقابِهِمْ.. كالمذْهَبِ المالِكيِّ لِمالِكِ بنِ أنسٍ.. والمذهَبِ الحَنبَلِيِّ لاَحمدَ بنِ حَنبلٍ.. والمذهَبِ الحنفيَّ لاَبي حَنيفةَ.. والمذهبِ الشافعيَّ لِلشافِعِيّ.. وَلاَجلِ تَمييزِ مَذهَبُنا عَنْ هذِهِ المذاهِبِ عُرِفَ بالمذهَبِ الجَعفريّ.. نِسبةً إلى الِإمام مِنْ آلِ الرسُولِ صلى الله عليه وآله وسلم الّذي شَهِدَ ظُهورَ هذِهِ المذاهبِ وَهُوَ الِإمامُ جَعفرٌ بنُ محمّدٍ الصادقِ عليه السلام .

. لكِنْ يا أبي نَحنُ نَعرِفُ أنَّ الائَمّةَ مِنْ أهلِ بَيْتِ النّبيِّ محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم هُمْ مَعصُومُونَ وَمُنَزَّهُونَ.. وَقَدْ نَصَّتْ عَلى ذلِكَ بَعضُ آياتِ القُرآنِ الكرِيمِ.. وأحادِيثُ الرَّسولِ صلى الله عليه وآله وسلم ومِنْ خِلالِ ذلِكَ نَعرِفُ أنَّ أهلَ البيتِ عليهم السلام هُمْ أحَقُّ بالِإمَامَةِ مِنْ غَيرِهِمْ.. فَما هُو دَورُ الِإمامِ جعفرٍ الصادقِ عليه السلام إزاءَ هذِهِ المذاهِبِ.. ؟



.وَسَطَ هذِهِ المذاهِبِ مارَسَ الإِمامُ الصادِقُ عليه السلام مُهِمّاتِهُ ومسؤُولِيّاتِهِ العِلمِيَّةَ وَالعَقائِدِيَّةَ كَإِمامٍ وأُستاذٍ وعالِمٍ فَذٍّ لا يُنافِسُهُ أيُّ أُسْتاذٍ أو صاحبِ مَعرفَةٍ.. فَقَد كانَ قِمَّةً شامِخَةً وَمَجْداً فَريداً.. فَجَّرَ يَنابيعَ المعرِفَةِ.. وَأفاضَ العُلومَ والمعارِفَ عَلى عُلَماءِ عَصرِهِ.. فَكانَ أساساً وقاعدةً عِلمِيَّةً وعَقائِدِيةً مَتِينَةً ثَبَتَ عَليها بناءُ الإِسلامِ.. وَاتّسعَتْ آفاقُهُ ومَداراتُهُ.. وَكيفَ لا يكونُ كَذلِكَ وعِلْمُهُ عِلْمُ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم ودَورُهُ امتدادٌ لِرسالَتِهِ.. فَقامَ بمهمَاتِهِ الشَّرعِيةِ كَإمامٍ مسؤولٍ عَنْ نَشْرِ الشَّرِيعَةِ وحِفظِ أُصولِها.. وَقَدْ ساهَمَ كَذلِكَ في زَمَنِ أبِيهِ الإِمامِ مُحمَّدٍ الباقرِ عليه السلام في تَأسِيسِ جَامِعَةِ أهلِ البَيتِ عليهم السلام في المَسجِدِ النَّبويِّ.. وَقامَ مَعَ وَالِدِهِ الباقر عليه السلام بِنَشرِ العِلمِ وَالمعرِفَةِ بَينَ الفُقهاءِ وَالمفَسّرِينَ وَالمحدِّثِينَ وَرُوّادِ العُلومِ الّذينَ كانُوا يَفِدونَ عَلَيهِما لِيَنهَلُوا مِنْ هذا المورِدِ العَذْبِ.. وَقَدْ كانَ مؤسِّسُو المذاهِبِ يَعتَرِفُونَ بِحَقِّ آلِ البيتِ عليهم السلام ويُشيدُونَ بِهِمْ.. فَهذا إمامُ الشافِعِيَّةِ مُحمّدُ بنُ إدريسَ يَنْشِدُ بِحَقِّهِمْ عليهم السلام ، فَيقُولُ : .

يا آلَ بـَيتِ رَسولِ اللهِ حُبُّكُمُ * فَرْضٌ مِنَ اللهِ في القرآن أنزَلَهُ
كَفاكُمُ مِنْ عَظيمِ الشَأنِ أنّكُمُ * مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَليكُمْ لا صلاةَ لَهُ

فَقالَ حامدٌ بِفَرحٍ شَديدٍ : .حَقّاً يا أبِي.. ؟! إذَنْ لا يُمكِنُ لأحدٍ أنْ يَتَجاهَلَ مَكانَةَ أهلِ البَيتِ عليهم السلام .. وَمَاذا حَصَلَ أيضاً في زمنِ الإِمامِ جعفرٍ الصادقِ عليه السلام .. ؟

.كَذلِكَ شَهِدَ زَمَنُ الإِمامِ الصادقِ عليه السلام سُقوطَ الدَولَةِ الأُمويةِ على يدِ العبّاسِيِّينَ..

.وَكَيفَ تَمكّنَ العبّاسيِّونَ مِنْ إسقاطِ الحُكمِ الأُموي.. ؟

.يَرجعُ ذلِكَ إلى سَبَبينِ.. الاَوّلُ : هو معرفةُ العبّاسيِّينَ بِما فِي قُلُوبِ النّاسِ مِنْ بُغضٍ وَحقدٍ وكَراهِيةٍ لِلأُمَويَينَ بِسَبَبِ ما عانوهُ مِنْ ظُلمٍ واضطِهادٍ وقَتْلٍ وكَوارِثٍ طِوالَ فَترةِ حُكْمُ الأُمويّينَ.. الامرُ الّذي سَيَدْفَعُهُمْ إلى القِتالِ ضِدَّهُمْ لو نَشَبَتْ الثورةُ..



وَالسَّبَبُ الثاني : هو حِينَما نَشَبَتْ الثورةُ.. أعلنَ العبّاسيّونَ أنَّهُمْ لم يَفعَلُوا هذا إلاّ لِنَيل رِضى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَذلِكَ بِعَودَةِ الخِلافَةِ إلى آلِ بَيتِ الرّسولِ صلى الله عليه وآله وسلم .. وبِما أنَّ أهلَ البيتِ عليهم السلام كَانُوا هُمْ الطلِيعَةَ والقيادةَ والشِعارَ المحبوبَ لَدى جَماهيرِ الأُمَّةِ.. فَقَدْ بَدأتْ الحَرَكَةُ ضِدَّ الحُكمِ الأُمَوي باسْمِهِمْ عليهم السلام ، وَقَدْ كانَ الإِمامُ جَعفرٌ الصادقُ عليه السلام مُحِيطاً بِجَميعِ الاَحداثِ.. لِذلِكَ حَذَّرَ شِيعَتَهُ مِنَ الاندِفاعِ خَلفَ هذِهِ الشِعاراتِ الزائِفَةِ الخَدّاعةِ.. وَبيّنَ لهمُ النتائِجَ التي سَتَنْتَهِي إليها الأحداثُ.. وَبعدَ أنْ انتَهَتْ المعرَكةُ لِصالحِ العبّاسيِّينَ.. وتَمَكَّنُوا مِنْ تأسِيسِ دَولَتِهِم.. ظَهَرَ واضِحاً للجميع صِدقُ الإِمامِ جَعفرِ بن محمّدٍ الصادقِ عليه السلام بَعدَ أنْ أصبَحَ آلُ البيتِ عليهم السلام وشيعتُهُمْ ضَحِيةً لِظُلمِ واضطِهادِ هذِهِ الدولَةِ حَتى أنشَدَ أحَدُ الشُّعراءِ قَائلاً : .

يَاليتَ جورُ بَنِي مَروانَ دامَ لنا * ولَيتَ عَدلُ بَني العبّاسِ في النارِ

عِنْدَها اغرَورَقَتْ عَينا حامدٍ بالدُمُوعِ.. وسَيْطَرَ عَلَيه البُكاءُ.. فَضَمَمْتُهُ إلى صَدرِي.. وَرِحتُ أُجَفِّفُ دُموعَهُ قائِلاً : .لِمَ تَبكِي يا بُنَيَّ.. ؟!

فَخَرجَتْ الكلِماتْ مِنْ فَمِهِ مَصحُوبةً بالعبَراتِ : . كَمْ أتَمنّى يا أبي.. أنّي لو كُنْتُ فِي زَمنِ الاَئِمّةِ مِنْ آلِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فأفدِيهِمْ بِرُوحي..



النهاية

تساؤل..!!

المصدر: موقع رافد